# المحاضرة الخامسة: الحضارات القديمة

## أولا: حضارة الهند

قامت حضارة الهند القديمة على ضفاف أنهارها ،كوادي السند وروافده ، حيث مقاطعة البنجاب ، وعلى ضفاف نهرا لغانج وروافده ، وعلى ضفاف نهر كرشنا في الدّكن . وأقدم حضارة عرفتها الهند قبل قدوم الآريين ،كانت على الضفة الغربية من وادي السند ، والتي اكتشفها ( جون مارشال ) عام 1924 م ،وترجع إلى مابين الألف الرابعة والثالثة قبل الميلاد ، حيث الآبار والحمامات والنظام الدقيق للصرف في كثير من المنازل ،كالتي كانت في سومر و بابل و مصر ، مع نموذج نحاسي لعربة ذات عجلتين ، قال ديورانت : " هي أقدم ما لدينا من أمثلة للعربة ذات العجلات ". فهل استمدت هذه الحضارة أصولها من سومر ؟ أو استمدّت سومر أصولها منها ؟ أو الاثنتان جاءتا من أصل واحد؟.. لا إجابة، ولكن الثابت أن هذه الحضارة كانت على اتصال مع سومر وبابل .

كما قامت في هرابا(Harappa) . في البنجاب . حضارة ترجع إلى 2500 ق م .

لقد سكن الهند قبل هجرة الآريين إليها الدارفيديون (Dravidions) ، وهم شعب دخلها قبل فجر التاريخ ، لا يعرف أصله ، ثم جاء الآريون من الشمال ، والشمال الغربي بين عامي2000 و 1500 ق م ، واحتلوا سهل الغانج ، وأرجح النظريات أن موطنهم الأصلي أواسط آسية شمالي بحر قزوين ، منهم من هاجر جنوبا ، ومنهم من دخل أوربا ، فهم شعوب هندو. أوربية.

### . حضارة الهند القديمة في عصر الفيدا (2000.1000ق م):

أقدم عصور حضارة للآريين في الهند هي عصر الفيدا (Vida) ، والفيدا مجموعة أغنيات استقيت منها المعلومات عن الهنود الآريين ، وهي أقدم أثر أدبي في أي لغة هندية . أوربية في الشرق والغرب . والفيدا تعني المعرفة، وهي المعرفة لكسب رضا الخالق، وبقي منها أربعة أسفار :

الريغفيدا : أوفيا الأناشيد .

والسامافيدا : وهو فيدا النغمات والتراتيل عند شرب السوما .

والياجورفيدا : وهو فيدا القرابين .

وأتارفا فيدا : وهو فيدا الرقى السحرية .

ويعتقد الهنود أن الإله الأعظم (براهما) كتبها بيده ، ويقولون أقدمها يعود إلى 6000 ق م .

جاء في الريغفيدا ترنيمة الخلق منها :

" لم يكن في الوجود موجود ولا عدم ، فتلك السماء الوضاءة لم تكن هناك ، كلا ، ولا كانت بردة السماء منشورة في الأعالي ، فماذا كان لكل شيء غطاء؟ ماذا كان موئلا؟ ماذا كان مخبأ؟ أكانت هي المياه بهوتها التي ليس لها قرار؟ ولم يكن ثمة موت ، ومع ذلك فلم يكن هناك ما يوصف بالخلود ، ولم يكن فاصل بين النهار والليل و( الواحد الأحد ) لم يكن هناك سواه ، ولم يوجد سواه منذ ذلك الحيز حتى اليوم .." .

يستنتج من الفيدا ، أن الهنود كانوا يعيشون في هذه الفترة على الزراعة ، ورعي المواشي، ولهم إله خاص للأرض المحروثة ، ويستخدمون البقرة دون أن ينزلوها من أنفسهم منزلة التقديس .

وأهم أسس الحيلة الاجتماعية في الهند نظام الطبقات ، لقد انقسم المجتمع الهندي إلى خمس طبقات :

1- الكهنة أو البراهمة ، الذين شكلوا طبقة ممتازة ، سيطرت على الحياة الفكرية والروحية في الهند سيطرة هدّدت كل تفكير وكل تغيير بالمقاومة المميتة ، ويعتقدون أنهم خلقوا من رأس براهما ، أو من فمه .

2- المحاربون وهم الذين خلقوا من كتفي براهما ويديه .

3- المزارعون والتجار وأصحاب الحرف وهم الذين خلقوا من فخذي براهما .

4- الخدم وهم الذين خلقوا من قدمي براهما وهم من نسل السكان الأصليين .

5- المنبوذون وهؤلاء لا ينتسبون إلى طبقة معينة، كما أنهم قرابة أربعين درجة ، ولهم نوع خاص من اللباس .

ولايمكن التقدّم من طبقة إلى أخرى، كما أنه لا يمكن التزاوج بين طبقتين إلا بين الأولى والثانية ، والقانون هو العرف ، ويستشير فيه الملك أحد علماء الدين .

**. الديانات:**

لقد وجد الآريون في الهند ديانة ؛ هي عبادة روحانية طوطمية لأرواح كثيرة ، تسكن الصخور والحيوان و الأشجار ومجاري المياه والجبال و النجوم .. وللديانة الفيدية مذابح قرابين ، وليس لها معابد أو أصنام .

وأما ديانة الآريين فإنها كسائر ديانات الهندو أوربية ، قائمة على عبادة قوى الطبيعة كالسماء والقمر والشمس والأرض والهواء والعاصفة .. فآغني (Agni) إله النار الذي يمثل الشمس في السماء ، والنار المقدسة في الأرض ، ولما كثر عدد الآلهة ، نشأت مشكلة هي : أي هؤلاء خلق العالم ؟

وتحتوي الفيدا على أفكار وتعاليم نبيلة تتعلق بالاستقامة والنّقاوة .

ولما كان وصول الآريين إلى الهند عن طريق آسيا الصغرى وهضبة إيران ، فلابد أنهم تأثروا بحضارة البلاد التي مروا فيها ، ومنها بلاد مابين النهرين .

## حضارة عصر البطولة والديانة البراهمية (1000–500ق م ):

مصدر المعلومات عن هذه الفترة ملحمتان تسميان : المهابهراتا(Mahabharata) ، أو قصة أسرة بهراتا ، و الرامايانا(Ramayana) أو تاريخ راما . وظهر في هذا العصر ثالوث مقدس ، مؤلف من براهما الخالق، وشيوا (Sheva) المُهلك ، وفشنو (Vishnu) الحافظ ، والهندوسيون اليوم يتبعون إما شيوا أو فشنو .

والتعليم في هذا العصر كان في طبقة الكهنة أو البراهمة ، وكان شفهيا حتى لاتصل المعرفة إذا كتبت إلى الطبقات الدنيا .

وظهرت في هذه الفترة عقيدة التقمص ، بمعنى أن الروح تولد مرات متعاقبة .

وحصل رد فعل ضد البراهمة ، لأن الكهنة أصبحوا أقوياء ، وتعقدت الطقوس كثيرا ، فقامت ثورة ضد الكهنة البراهميين ، وظهرت (الجاينيّة) ، ومؤسسها مهافيرا (Mahâvîra) . 550 / 477 ق م . ، الذي كان أميرا وترك الإمارة ، وراح يعذب نفسه اثنتي عشرة سنة ، حتى جاءه الهدى دون مساعدة الكهنة ، ومن هنا جاء لقب الجينا (Jina) أي الغالب ، وأسس رهبنة كان فيها 14000 من أتباعه عندما توفي . والطريق المؤدية إلى الخلاص في رأي الجاينيين ، هي توبة تقشفية ، وامتناع عن إيذاء أي كائن حي .

كما ظهرت . ضمن رد الفعل ضد البراهمة . البوذية ، ومؤسسها غوماتاسيدهانا ( 483/564 ق م ) ، الذي دعي بوذا أي المستنير أو الذي اهتدى ، وكان ابن أمير منطقة على حدود نيبال ، فتنكر لسلطة الفيدا والكهنة البراهمة ، وقرر قواعد خُلقية خمسا ، وهي بمثابة الوصايا :

1- لا يقتلن أحد كائنا حيا .
2- لا يأخذن أحد ما لم يعطه .

3- لا يقولن أحد كذبا .

4- لا يشربن أحد مسكرا .

5- لا يقيمن أحد على دنس .

ومما يميز الجاينية والبوذية أنهما تكلمتا بلغة الشعب (Prokrit) ، وليس بالسنسكريتية لغة الكهان ، ودخل في العقيدتين جماعة من مختلف الطبقات ومن الجنسين ، وتدخل الكارما عنصرا هاما في تعاليم الطرفين ، وهي قضية الإرادة، فإذا عاش الإنسان وفكر بصورة صحيحة ، يتخلص من الكارما ، ويصل إلى ما يسمى بالنيرفانا (Nirvana) ، بمعنى أنه لا يعود يولد مرة ثانية ، والوصول إلى ذلك يكون باتباع خطة النقاوة و الصفاء في الفكر والقول والعمل ، وتجنب القتل والسرقة والزنى ، والابتعاد عن الكذب والطمع واللذات والرغبات .

ويهتم الطرفان بالسلوك القويم وبالمعرفة الصحيحة ، وينظران إلى العالم على أنه شر ، ويميلان إلى الرهبنة . والجاينية تشجع التقشف الكئيب ، والزهد الجاد المتشائم ، وإماتة النفس تماما ، بينما البوذية أكثر اعتدالا . وبقيت الجاينية في الهند ، بينما انتشرت البوذية في بلاد الشرق الأقصى ، وعدّ مؤسسا هاتين الفكرتين إلهين بعد مدّة من وفاتهما .

ويعدّ آزوكا (Asoka) . 232/272 ق م . ناشر البوذية ، حيث أرسل بعثات التبشير إلى التبت والصين و منغولية و اليابان و سيلان و بورمة و سيام .. وبجهوده أصبحت تلك البلاد بوذية .

## علوم الهند القديمة :

عرفت الهند الطب و الرياضيات ، وازدهر الفلك بين القرنين الثالث والرابع الميلاديين وتأثر بمدرسة الإسكندرية . وتحتوي كتب السدهانتا الهندية أهم عناصر الفلك الهندي،

وسدهانتا (Siddhanta) تعني النتيجة الثابتة ، وعرفه العرب باسم ( السند هند) ، وهو فلك متأثر بالفلك البابلي .

ويقول سارتون (Sarton) : ابتكر الهنود ـ على الأغلب ـ الأرقام التسعة و النظام العشري.

وللهنود فضل على المثلثات ، فهم الذين استعملوا نصف الوتر ، وحصلوا على جدول من الجيوب ، فكلمة جيا (Jya) أو (Jiva) السنسكريتية أصبحت في العربية جيب .

وازدهرت الفلسفة في الحضارة الهندية ، وآلت الفلسفة البرهمية إلى ستة من المذاهب الرئيسية المعترفة بأصول الفيدا ، وكلها مؤمنة بأن الفيدا قد هبط بها الوحي، وأن الغاية من المعرفة ومن الفلسفة ليست هي السيطرة على العالم بقدر ما هي طرق الخلاص منه ، وأن هدف الفكر هو التماس الحرية من الألم المصاحب لخيبة الشهوات في أن تجد إشباعها ، وذلك التحرر من الشهوات نفسها .

يذكر( ول ديورانت ) أن الكهنة في الهند استطاعوا في قياس مذابح القرابين و بنائها ، أن يصوغوا النظرية الفيثاغورسية التي مؤداها : أن المربع المنشأ على وتر المثلث القائم الزاوية ، يساوي مجموع المربعين المنشأين على الضلعين الآخرين ، قبل ميلاد المسيح ببضع مئات من السنين ، وكذلك استطاع ( أريابهاتا ) وقد يكون متأثرا باليونان في ذلك ، أن يحسب مساحة المثلث و المعين والدائرة .

وهذا منهج كثير من علماء الغرب و مؤرخيه ؛ بجعل اليونان معجزة الحضارات القديمة ... وهذا خطأ جسيم ...إن الحضارة اليونانية اقتبست الكثير من حضارات الشرق : المصرية والبابلية والفينيقية ..كما سنوضحه في محاضرات قادمة .